كيف نحيي رسالة المسجد

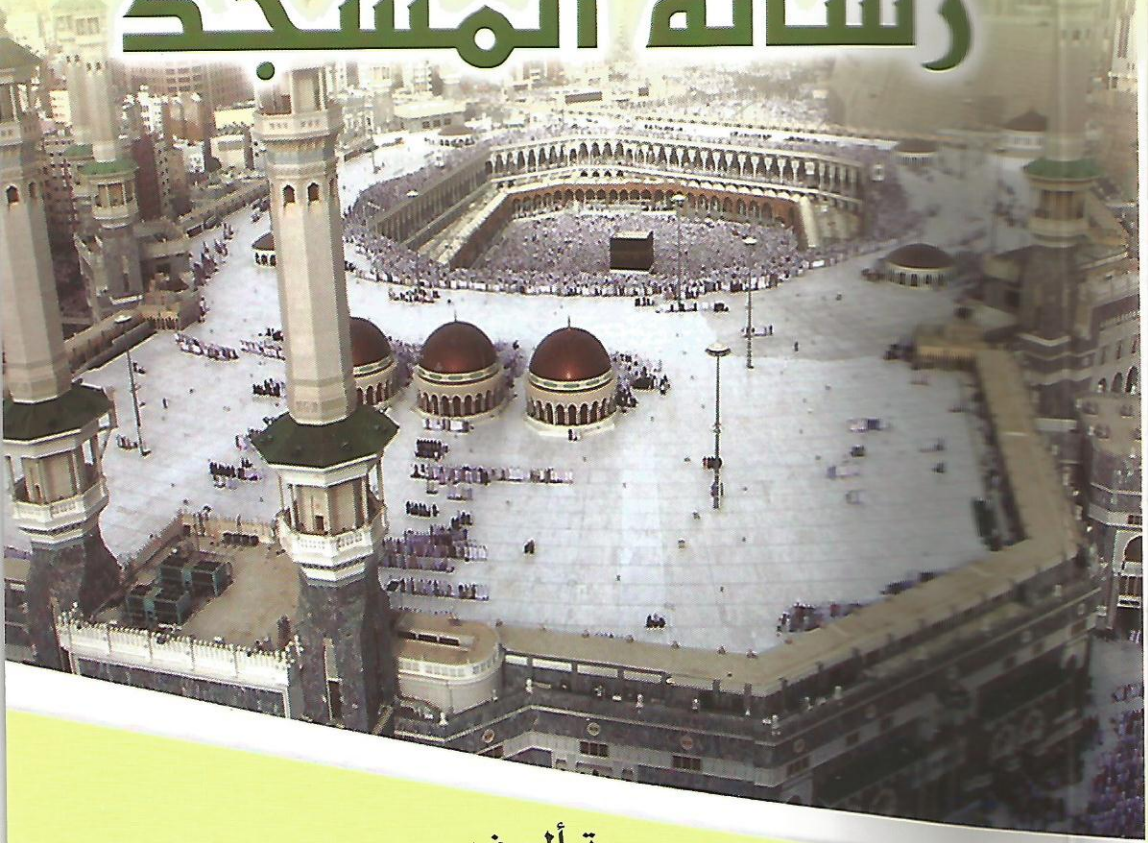

تأليف

شوقي عبدالله عبّاد

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نحيي رسالة المسجد

تأليف
شوقي عبدالله عبّاد

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ⓒ شـوقـي عبدالله عبّـاد، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عـبّـاد ، شـوقـي عبدالله

كيف نحيي رسالة المسجد./ شوقي عبدالله عبّاد. - الرياض ، ١٤٢٨هـ

... ص ؛ ... سم

ردمـك : ٨ - ٩٣٢ - ٥٧ - ٩٩٦٠

١- المساجد ٢- التربية الإسلامية أ- العنوان

ديـوي ٢١٥ ١٤٢٨/٣٧٧٨

رقـم الإيـداع: ١٤٢٨/٣٧٧٨

ردمـك: ٨-٩٣٢-٥٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تمهيد[1]

لا يخفى على مسلم ما للمسجد من دور في حياة المؤمن، فهو المدرسة الأولى التي تخرَّج فيها الصحابة -رضي الله عنهم-، فكان لهم كبير الأثر في جميع المجالات العلمية والدعوية والقضائية والأدبية وغيرها، ذلك أن المسجد أدى دوره وقام برسالته التي جاء من أجلها، فلم يكن في عهود الإسلام الأولى دار صلاة فحسب، بل كان مع ذلك دار اجتماع لكل المسلمين، ومركزاً لإرسال السرايا والجيوش، ومنه ينطلق الدعاة إلى الله يجوبون الأرض يعلِّمون الناس الخير.

وفي هذا المقام أود التذكير برسالة المسجد، وإحياء هذه الرسالة التي كادت أن تموت، ولا سيما أننا في وقت يحارب فيه المسلم بوسائل مختلفة، وأساليب متعددة. فهذه بضع عشرة وسيلة استخلصتها من هدي الإسلام وقواعده العامة، نستطيع من خلالها معاً أن نفعّل دور المسجد ونحيي شيئاً من رسالته، فإن غياب هذا

(١) نشر أصل هذه الرسالة مختصراً في مجلة (البيان)/ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

الدور، واندراس تلك الرسالة، من أسباب تعرض المسلم للانجراف وراء التيارات المنحرفة المفسدة المشبوهة، التي تستهدف تضليل الناشئة بالدرجة الأولى، وإبعادهم عن دينهم وإغراقهم في أوحال الرذيلة مستخدمة في ذلك شتى الوسائل من دور سينما ووسائل إعلام وشبكات اتصال.

وسائل تفعيل دور المسجد و إحياء رسالته

الوسيلة الأولى

عقد الدروس الشرعية والدورات العلمية

وذلك بواسطة العلماء وطلاب العلم في شتى صنوف العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير وغيرها، وذلك بين الفينة والأخرى، لا سيما في مواسم العُطَل والإجازات. ومما يدل على أن المسجد كان مهد مثل هذه الدروس العلمية قصة أبي هريرة - رضي الله عنه- حين مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله -ﷺ- يقسم وأنتم ها هنا! ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نرَ فيه شيئاً يُقْسَم. فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى! رأينا قوماً يصلّون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم

أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد -ﷺ-[1].

ولهذا كان الواحد من السلف، إذا أراد أن يطلب العلم، توجه أول ما يتوجه إلى بيت الله، فعن صفوان بن عسال المرادي -رضي الله عنه- قال: «أتيت النبي -ﷺ- وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم، فقال: **مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا، من محبتهم لما يطلب**»[2].

وقد ألمح -ﷺ- إلى ذلك حين قال: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله**»[3] والشاهد من الحديث قوله: «في بيت من بيوت الله» وذلك لأن الغالب في حلقات القرآن وفي دروس العلم أن تكون في بيوت الله[4].

(١) الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).
(٢) الطبراني وغيره وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧١).
(٣) مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).
(٤) انظر شرح مسلم للنووي (١٧/٢٤).

أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد -ﷺ-[1].

ولهذا كان الواحد من السلف، إذا أراد أن يطلب العلم، توجه أول ما يتوجه إلى بيت الله، فعن صفوان بن عسال المرادي -رضي الله عنه- قال: «أتيت النبي -ﷺ- وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم، فقال: **مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا، من محبتهم لما يطلب**»[2].

وقد ألمح -ﷺ- إلى ذلك حين قال: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله**»[3] والشاهد من الحديث قوله: «في بيت من بيوت الله» وذلك لأن الغالب في حلقات القرآن وفي دروس العلم أن تكون في بيوت الله[4].

(١) الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).
(٢) الطبراني وغيره وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧١).
(٣) مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).
(٤) انظر شرح مسلم للنووي (١٧/٢٤).

ومن أولى أولويات الدروس العلمية: حلقات تحفيظ القرآن الكريم للناشئة، فما زالت مساجد المسلمين عامرة منذ القديم بمثل تلك الحلقات التي يتخرج فيها حفظة كتاب الله، وهناك بعض المساجد تجعل حلقات التحفيظ في مدرسة أو دار خاصة بالتحفيظ مستقلة عن المسجد، مستقلة من حيث إدارتها وسائر شؤونها، والحاصل أن يوجد في الحي مثل تلك الحلقات، أكانت داخل المسجد كما هو عهدها القديم أو خارجه إن وجدت مصلحة في ذلك.

ولا يحسن بالقائمين على مثل هذه الدروس العلمية والحلقات أن يغفلوا استخدام الوسائل الحديثة في نشر هذه الدروس والدورات، وذلك عن طريق بثها عبر شبكة الانترنت العالمية، ليستفيد منها عموم المسلمين والمسلمات، وبهذا يستطيع طالب العلم حضور الدرس ومتابعته وهو في بيته أو في سيارته أو غيرها من الأماكن دون حضوره الفعلي للمسجد، وبهذا سيستفيد كثير من المسلمين وبالأخص من يرغب في التحصيل العلمي ولا يتمكنون من الحضور لظروفهم الخاصة، وكذلك النساء اللاتي قد يسبب خروجهن من بيوتهن الوقوع في شيء من المحاذير الشرعية، أو إخلال بواجباتهن المنزلية.

الوسيلة الثانية

إلقاء المحاضرات والندوات

والمقصود بذلك المحاضرات التي يحتاجها المسلمون في حياتهم، وهذه تختلف عما سبق من حيث إنها لا تركز على شريحة معينة من المجتمع كطلبة العلم، بل تتوجه إلى عموم الناس: المتعلم وغير المتعلم، من النساء والرجال، وقد قال -ﷺ-: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**»[1]، أي يدعون له، فكل خير يقوم الانسان بتعليمه للناس فله نصيب من هذا الثواب العظيم، و أول خير ينبغي تعليمه هو علم الدين الذي تحصل به النجاة. وجعل -ﷺ- معلم الناس الخير بمنزلة المجاهد في سبيل الله فقال: « **من جاء مسجدي هذا لا يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله**»[2]، وإن من أهم المواضيع العامة التي يحتاجها الناس كلهم بيان أركان الدين الخمسة، وأعظمها الصلاة، وحث الناس على

(١) الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٥).

(٢) ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٧).

أدائها في جماعة، خصوصاً فريضة الفجر، فما بنيت المساجد إلا للصلاة وذِكْر الله. ومن المواضيع المناسبة في هذا الموطن ما يتعلق بالأسرة والبيت وتربية النشء ومسائل النكاح والطلاق والمشاكل الاجتماعية والأسرية التي تعاني منها كثير من بيوت المسلمين. وإن المرء ليعجب من شأن الصحابة -رضي الله عنهم- في اهتمامهم بالمسجد حين تواجههم بعض المشاكل الاجتماعية والنزاعات الأسرية والتي لا تخلو منها الحياة فكانوا يلجأون إلى المسجد، ولسان حالهم اللجوء إلى الله في حل الأزمة التي يواجهون، و فك المعضلة التي هم فيها واقعون، وما هو إلا وقت قصير حتى تُفرّج همومهم وتحل مشاكلهم -رضي الله عنهم-(١).

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤١) أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تخاصم مع زوجته فاطمة فخرج من بيته غاضبا و كان ذلك في وقت القيلولة، فطلبه -ﷺ- فماوجده إلا بالمسجد فأتاه فوجده مضطجعا وعلى ثيابه تراب فمسحه عنه وقال: قم أبا تراب، فكان علي يكنى بأبي تراب وكانت أحب الأسماء إليه، وعند أبي داود وغيره أن أبا أمامة -رضي الله عنه- لزمته ديون كثيرة ما استطاع سدادها فأصابه هم، فذهب إلى المسجد في غير وقت الصلاة فلما دخل الرسول -ﷺ- المسجد رآه فسأله عن قعوده في المسجد فأخبره، فعلّمه -ﷺ- دعاء الهم والحزن المعروف، قال أبو أمامة: ففعلت ذلك -أي قلت ذلك الدعاء- فأذهب الله همي وقضى عني ديني، وتكلم في إسناد الحديث الألباني في ضعيف أبي داود (١٥٥٥) و صححه الشوكاني في تحفة الذاكرين (١٢٣)، و أما الدعاء دون سبب الإيراد فهو في صحيح البخاري (٥٨٨٦).

الوسيلة الثالثة

إلقاء بعض الكلمات والمواعظ الموجزة

يتم إلقاؤها بين فينة وأخرى يستفيد منها جميع روّاد المسجد خاصة أهل الحي، على أن يُرَاعى في ذلك كله الأوقات المناسبة حتى لا يملّ الناس، وهكذا كان هديه -صلى الله عليه وسلم-، فقد قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «كان النبي -ﷺ- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا[1]»، هذا وهو رسول الله -ﷺ- أحسن الناس موعظة، وهؤلاء هم الصحابة أحب العالمين للموعظة. وكان ابن مسعود -رضي الله عنه- يذكّر الناس كل خميس اتباعاً لهدي النبي الكريم. والمهم في هذا الأمر عدم إملال الناس وتنفيرهم، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون التذكير يوماً بعد يوم، أو يوماً بعد يومين، وقد يكون أسبوعياً، والضابط في ذلك كله هو الحاجة مع وجود النشاط[2].

(١) البخاري (٦٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٢١٤).

وإن من الأساليب النافعة في تحقيق كل ما سبق من وسائل إصدار مجلة حائطية دورية، تتضمن مواضيع مختلفة، و تشجيع أهل المسجد أنفسهم في إعدادها، على أن توضع في مكان لا يشوّش على المصلين كمؤخرة المسجد أو خارجه -عند الأبواب- ولا يوضع فيها صور أو زخارف، فإن كل بقعة في المسجد ولو كانت في فنائه لها حكم المسجد[1]، ومثل هذه المجلات الحائطية منتشرة في أكثر المساجد و لله الحمد، وإنما القصد هو التذكير بها وبدورها خصوصا في البلاد النائية التي يقل فيها أهل العلم، فنشر فتاوي العلماء وبيان أحكام الاسلام وآدابه عبر هذه المجلة أحد أسباب انتشار العلم و الخير، ومما يسهّل اصدار مثل هذه المجلات قيام بعض المؤسسات الدعوية، والمواقع الاسلامية على الانترنت، باصدار مثل هذه المجلات والملصقات، مشتملة على مواضيع متنوعة، فهي جاهزة لأن توضع في مكانها المناسب بالمسجد.

(١) انظر أحكام حضور المساجد لعبدالله بن صالح الفوزان.

الوسيلة الرابعة

إنكار المخالفات الشرعية نصحاً لعامة المسلمين

وذلك عند وقوع أحد منهم في مخالفة داخل المسجد، وقد جاءت السنَّة بالنهي عن أمور تتعلق بالمساجد كالبيع والشراء فيها[١]، وإنشاد الضالة[٢]، ورفع الأصوات[٣]، وقد كان هدي النبي -ﷺ- وهدي أصحابه من بعده تنبيه رواد المسجد عما يصدر عنهم من مخالفات حتى تكون سلوكياتهم متوافقة مع مكانة المسجد وحرمته، ومن ذلك إرشاده صلى الله عليه وسلم للرجل الذي لا يحسن الصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يقول له في كل مرة: **ارجع فصلّ فإنك لم تصل**[٤]، وتعليمه لمعاوية بن الحكم السلمي حين أخطأ وتكلم في الصلاة[٥]، ومثلهما ذلك الأعرابي الذي قام وبال في المسجد فنهره الناس فما كان من النبي -ﷺ- إلا أن أرشده وأرشد بقية

---

(١) الترمذي (١٢٤٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البخاري (٤٥٨).

(٤) البخاري (٦٢٥٢) ومسلم (٣٩٧).

(٥) مسلم (٥٣٧).

الصحابة إلى السلوك الصحيح، فبيّن للأعرابي أن مثل هذا يتنافى مع المسجد، وأرشد الصحابة إلى الأسلوب الصحيح في الانكار[1].

ولعلِّي أضرب مثالاً واحداً لإحدى المخالفات التي أعتقد أنها منتشرة وقلّ أن يخلو منها مسجد، تلك هي المرور بين يدي المصلي، والمرء يعجب أشد العجب من تهاون الناس في هذا الأمر، فالمار لا يبالي كثيراً بأخيه المصلي، بل لا يبالي بإخوانه المصلين، فتجده يقطع صفوف المصلين واحداً تلو الآخر وكأنه لم يقع في محرم بَلْهَ كبيرة من كبائر الذنوب[2]. ومن جانب آخر تجد المصلين أنفسهم يتساهلون في عدم دفع هذا المار بين أيديهم وكأن الاثم يقع على المار فحسب، والأشد عجباً هو تهاون جمهرة المسلمين -خصوصاً أئمة المساجد- عن القيام بواجبهم في النصح والإرشاد لهذا الأمر المتكرر يومياً، وللأسف فإن هذا الأمر يقع بكثرة في المسجد الحرام الذي أخذ النصيب الأوفر من وقوع الناس في هذه المخالفة الشرعية، بحجة أن بعض العلماء أجاز ذلك عند الضرورة كالزحام

(١) البخاري (٦٠٢٥) ومسلم (٢٨٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧٥٧/١)، ونيل الأوطار للشوكاني (٨/٣)، وانظر أحكام السترة للطرهوني.

الشديد، ولكن الناظر لحال الناس هنالك يرى عدم التفات الناس إلى تلك الضرورة أو الحاجة، بل أصبح الأمر عادياً حتى إن البعض يمر بين يدي المصلين ذهاباً وإياباً دون أي مبالاة. هذا مثال واحد من المخالفات في بيوت الله جل وعلا، وإذا كان إنشاد الضالة وإشهار السلاح ونحوها، يندر أن تقع في المساجد اليوم، فهناك ما هو أشد منها كإصدار النغمات الموسيقية أو الأغاني عبر الهواتف المحمولة وغيرها من الأمور التي تحرم في كل مكان فضلاً عن المساجد والتي هي أحب البقاع إلى الله[1].

(١) مسلم (١٠٧٦).

الوسيلة الخامسة

إماتة البدع وإحياء السنن

يجب التعاون على إماتة البدع والخرافات من المسجد إن وُجدت، ثم إحياء السنن التي أُميتت وما أكثرها! والبدع هي من المخالفات التي ينبغي القيام بالنصيحة عند حدوثها[1]، ولكني أفردتُ البدع عن سائر المخالفات لفداحة الآثار المترتبة على ارتكابها مقارنة بالمخالفات التي تم الإشارة إلى بعضها، فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها كما قال سفيان الثوري -رحمه الله-، ولست بحاجة لأن أعدّد البدع، بل الشركيات المتفشية في مساجد المسلمين ودور عبادتهم، فمن أخطر البدع -وهذا على سبيل المثال لا الحصر- التي لا تزال للأسف موجودة في مساجد المسلمين دفن الأموات -لا سيما من يُعتقَد فيه الصلاح والخير- إما في قبلة المسجد، وهذا أشنعها، أو في طرف منه، أو في صحنه، أو حتى في فنائه، وكذلك العكس أي إقامة المسجد وبنائه على قبر، ولم

(١) انظر الوسيلة الرابعة.

يكن هذا تعامل السلف الصالح مع القبور إطلاقاً، بل إن الذي أحدث المشاهد، وعظّم القبور في ملة الإسلام هم المبتدعة. ويكفي دليلا على خطورة هذا الأمر أن التحذير من الوقوع فيه كانت آخر وصايا النبي -ﷺ- حيث قال: «**ألا و إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[1].

وإن مما يندى له جبين المؤمن تلك الإحصائيات المروّعة، حول انتشار هذه البدعة في مساجد المسلمين حول العالم[2]، وهذا يحتم علينا جميعاً التكاتف في تحذير الناس منها، والرفع إلى من يهمه الأمر بخطر مثل هذه البدع المفضية -ولا شك- إلى الشرك الأكبر، هذا مثال واحد من أعظم البدع ناهيك عن البدع الأخرى التي تكثر في المساجد وبدع الاحتفالات بالمناسبات الحولية، مثل الاحتفال بالمولد النبوي، أو الاحتفال بليلة النصف من شعبان، أو غيرها من المناسبات، وكذلك البدع المتعلقة بالأذان وبالأذكار دبر الصلوات، وكلها مما ينبغي التعاون على إزالته، فوالله لو لم نجنِ من تفعيل دور

(١) مسلم (٨٢٧).

(٢) انظر هذه الإحصائيات في كتاب (دمعة على التوحيد) من اصدارات المنتدى الإسلامي.

المسجد إلا تطهير بيوت الله من مثل هذه الخزعبلات لكفى. ولا ينبغي تهوين مثل هذه الأمور والنظر إليها بعين التساهل لعلاقتها الوثيقة بجناب التوحيد والذي بسلامته ينجو الإنسان من النار ويدخل الجنة، نسأل الله من فضله.

وبعد إماتة البدع[1]، ينبغي العمل على إحياء السنن الخاصة بالمساجد وهي كثيرة، وإنما تُرِكَت لتعلق الناس بالبدع، وينبغي التدرج في إحياء السنن في المسجد وتقديم الأهم فالمهم، حتى لا ينفر الناس من السنَّة أو ينكروها، فالسنن المتعلقة بصفة الصلاة وتسوية الصفوف مثلاً تُقدّم على سنن الدخول إلى المسجد والخروج منه، وهذا الأمر يحتاج إلى فقه المقاصد وفقه المصالح والمفاسد، ومن لم يكن ذا مَكِنَة فلا يتجشم عناء التغيير، فقد يُفْسِد أكثر مما يُصْلِح.

(١) إنما جعلت إحياء السنن بعد إماتة البدع من باب (التخلية قبل التحلية).

الوسيلة السادسة

جمع التبرعات والصدقات للمحتاجين

والمقصود هو الدعم المالي المتواصل للمحتاجين من الأسر الفقيرة القاطنة بالحي، ولدعم المشاريع الخيرية أو لقضايا المسلمين في الخارج، وكان من هدي النبي -ﷺ- الدعوة إلى الدعم المالي للكيان المسلم في المسجد، كما في دعوته للإنفاق في غزوة تبوك[1]، ودعوته للتبرع حين جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار[2]، وكان إذا جاءه مال الغنيمة، أو الفيء، نثره في المسجد يقسمه بين الناس، وبوّب على ذلك الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب القسمة وتعليق القِنْوِ في المسجد[3]، قال ابن رجب -رحمه الله-: «المقصود بهذا الباب: أن المسجد يجوز أن يوضع فيه أموال الفيء، وخُمُس الغنيمة، وأموال الصدقة، ونحوها من أموال الله التي تقسم بين مستحقيها»[4]، وكان الصحابة -رضي الله عنهم-

(١) تفسير الطبري: سورة التوبة (٧٩).

(٢) مسلم (١٦٩١).

(٣) البخاري (٥١٦/١)، القِنْوُ: العذق بما فيه من الرُّطب. والغصن، والرطب ثمر النخيل قبل أن يصبح تمراً.

(٤) فتح الباري لابن رجب (١٥٤/٣).

يأخذون صدقاتهم إلى المسجد لعلهم يجدون من يأخذها منهم من فقراء المسلمين كما في قصة يزيد بن الأخنس -رضي الله عنه- حين أخذ صدقته إلى المسجد ليتصدق بها[١]. وجاء في وصف سبعين من خيار الصحابة أنهم كانوا يشترون طعاماً لأهل الصُّفَّة القاطنين بالمسجد[٢]، وقال يزيد بن أبي حبيب: كان مرثد بن أبي عبد الله اليزني -ويكنى بأبي الخير- أول أهل مصر يروح إلى المسجد، وما رأيته داخلاً المسجد قط، إلا وفي كُمِّه صدقة: إما فلوس، وإما خبز، وإما قمح يتصدق به[٣]. فهذه نماذج تدل على مكانة المسجد، ودوره في تدعيم الجانب الاقتصادي للمسلمين، وأن الصدقات والتبرعات وما شابهها كانت تنطلق منه[٤].

ولعل ما نلاحظه من أوضاع مزرية لعدد من الأسر المسلمة تكون محفزة لنا لإحياء دور المسجد في هذا الجانب، وتفعيل ذلك الدور ولو على المستوى الفردي، وإني على يقين جازم أنه لو اعتنى كل

(١) البخاري (١٣٣٣).

(٢) البخاري (٣٨٦٠)، ومسلم (٦٧٧).

(٣) ابن خزيمة بسند حسن وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة (٢٤٣٢).

(٤) انظر تفسير القرطبي: سورة الجن (١٨).

مسجد بهذا الجانب، وقام بأداء رسالته كما كانت في العهد الأول، مع شيء من التنظيم والترتيب الذي يتطلبه مثل هذا العمل، من حيث التوزيع الدقيق للمستحقين، وصرف الصدقات في أبواب البر التي يحتاجها المجتمع، وقبل ذلك وبعده الإخلاص لله في ذلك، لانتفع كثير من المحتاجين، وسُدّت أفواه، وأُشبعت بطون.

الوسيلة السابعة

بناء المساجد وتشييدها

والنصوص الدالة على فضل بناء المساجد كثيرة، من أشهرها حديث عثمان -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**من بنى مسجداً لله يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**»[1]، وفي رواية «**بنى الله له مثله في الجنة**». وإن التوسع العمراني في المدن من أهم الدواعي في الإكثار من بناء المساجد وتشييدها، فينبغي حث أهل الغنى والجِدَة على بناء المساجد خصوصاً في المناطق النائية، أو المجمعات السكنية التي يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين، وكذلك الشركات التجارية الضخمة، التي يرتادها مئات الموظفين يومياً، وقل مثل ذلك في الاندية الرياضية والثكنات العسكرية والمطارات وما شابهها.

ومن أهم المحاذير المتعلقة بتشييد المساجد والتي ينبغي الحذر منها: الإسراف والتبذير في البناء ومتعلقاته، ومن أبرز مظاهر التبذير

(١) البخاري (٤٣١)، ومسلم (٨٢٨).

التي قلّ أن يخلو منها مسجد: الزخرفة والتزيين، فإن ذلك فضلاً عن أنه منهي عنه[1]، ففيه من الإسراف والتبذير الشيء الكثير، بل فيه إضاعة لأموال المسلمين فيما لا فائدة فيه، وقد نُهِينا عن إضاعة المال[2] بالإضافة إلى إشغال المصلي عن صلاته التي هي سبب وجود المسجد، والأَوْلى صرف مثل هذه الأموال في ما يتطلبه المسجد من حاجات بعد البناء كترميمه، أو تنظيفه، أو نحو ذلك.

ومما يدخل في بناء المساجد وتشييدها: إعادة بناء المساجد التي هدمها أعداء الاسلام، أثناء حروبهم مع المسلمين قديما وحديثا، ومن نظر إلى حجم الدمار الذي ألحقه الكفار في حروبهم الحديثة مع المسلمين رأى تركيزهم الكبير و الواضح على تدمير المساجد وتخريبها، فمئات المساجد دمرت في فلسطين، وفي البوسنة و الهرسك، و في كوسوفا، و في الهند، و في العراق، وقبل ذلك في الأندلس -أسبانيا- ومثل المساجد التي هُدِمَت، تلك التي حُوّلت في حقبة من الزمن إلى مبان لأغراض دنيوية، بل وفي بعض الأحيان

(١) أبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩) وغيرهما.

(٢) البخاري (٦٨٦٢)، ومسلم (١٧١٥).

محرّمة، فإن الكثير من بيوت الله في البلدان الغربية التي دخلها الإسلام، و حتى في البلاد العربية التي استُعمرت من قبل الكفار، تم تحويلها إلى كنائس أو ملاه ليلية، والواجب العمل على إعادتها إلى ما كانت عليه، و إعادة ترميمها، و سنذكر لا حقا أحد الأمثلة الرائعة في هذا المضمار[1].

(١) انظر الوسيلة الثانية عشر.

الوسيلة الثامنة

عمارة المسجد الحسّية

لا شك أن الاهتمام بعمارة المسجد الحسِّية من شعائر الله التي أُمرنا بتعظيمها. قال الله -تعالى-: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (النور: ٣٦)، قال قتادة: هي هذه المساجد أمر اللّه -سبحانه وتعالى- ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها[١]. وفسر مجاهد رفعها ببنائها[٢]، فيدخل في رفعها: بناؤها وكنسها وتنظيفها من النجاسات والأذى[٣].

ومما يدخل في الاهتمام بالعمارة الحسية للمساجد العناية بتنظيفها وتطييبها بين فينة وأخرى، إذ أن المساجد هي أحب البقاع إلى الله جل وعلا[٤]، فهي أَوْلى بالتنظيف والرعاية من غيرها. قالت عائشة -رضي الله عنها- : «أمرَنا رسول اللّه -ﷺ- ببناء المساجد

(١) تفسير ابن كثير، سورة النور (٣٦).

(٢) تفسير القرطبي، سورة النور (٣٦).

(٣) تفسير ابن سعدي، سورة النور (٣٦).

(٤) سبق مصدره في الوسيلة الرابعة.

في الدور، وأن تنظّف وتطيّب»[1]، وبيّن النبي -ﷺ- أن التفل في المسجد خطيئة وأن كفارتها دفنها[2]. ومن ذلك أيضاً أن لا يأتيها الانسان وهو متلبس برائحة كريهة تصدر من جسمه أو ثوبه أو فمه تتأذى بها ملائكة الرحمن، ويتأذى إخوانه المصلون، ففي الحديث: «**من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يأتينّ المساجد**»[3]، وبيّن في حديث آخر علّة هذا النهي المتمثلة في إيذاء الملائكة وبني آدم من هذه الروائح[4]. والأحاديث والآثار الواردة في الأمر بتنظيف المساجد وتطييبها كثيرة، ويتأكد هذا الأمر في حال اجتماع الناس أوقات الصلاة، أو يوم الجمعة، أو في رمضان، ونحوها من المناسبات.

كما ينبغي توفير وسائل الراحة لرواد بيت الله كبرادات مياه الشرب، وأجهزة التكييف خصوصاً أثناء فترة الصيف، وكذلك السخانات الكهربائية وأجهزة التدفئة في فترة الشتاء، وأدوات

---

(١) أبوداود (٣٨٤) و ابن ماجه (٧٥١) بأسانيد صحيحة.

(٢) مسلم (٨٥٨).

(٣) البخاري (٨٠٦)، و مسلم (٨٧٦).

(٤) مسلم (٨٧٦).

التنظيف والكنس الحديثة، وغيرها من نِعَم الله التي أنعم بها علينا، والتي لم تكن متوفرة إلى عهد قريب، بل ولا تزال كثير من مساجد الله خالية منها، فقد كان الخدَم في سالف العهد، يُكلّفون بتنظيف المسجد، وكنسه بأيديهم، وبوّب الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب الخدَم للمسجد، وذكر حديث المرأة السوداء التي كانت تقمُّ مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[1]، وفي بعض طرق الحديث أنها كانت تلتقط العيدان والخرق بيديها[2]، والحاصل أن يكون المسجد مستوفيا للشروط الصحية من تهوية و إضاءة وتدفئة ونحوها وإيجاد الأدوات التي تحقق هذه المتطلبات بالمسجد ومرافقه الأخرى، فالحاجة اليوم تدعو لذلك خصوصا في المساجد الكبيرة التي تكتظ بالمصلين كل يوم، وتلك التي تقع على الطرقات و في الاستراحات حيث يرتادها المسافرون من الرجال والنساء والأطفال على مدار الساعة حتى لو استدعى الأمر أن يستعان ببعض شركات التنظيف والصيانة لا سيما وقت ازدحام الناس.

ولا يظنن ظان أننا نهمل عمارة المسجد المعنوية بذكرنا للعمارة

(١) البخاري (٤٥٨) و (٤٦٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٧١٥).

الحسية، بل إن الأمر على النقيض من ذلك، فإن الله ـ عز وجل ـ جمع العمارتين في آية واحدة، فقال ـ تعالى ـ: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ) (التوبة: ١٨)، فالمقصود من إفراد العمارة الحسية للمسجد بالذكر من باب كونها سبباً في تحصيل العمارة المعنوية التي اهتم بها الشارع الحكيم.

الوسيلة التاسعة

العناية بمصليات النساء

ويشمله كل ما يشمل مصلى الرجال، مع مراعاة الفوارق الشرعية، فقد كان -ﷺ- يهتم بشأن النساء في المسجد، فأَذِنَ لهن في الحضور إلى المسجد، ونهى عن منعهن من ذلك[١]، مع إشارته إلى أن صلاتها في بيتها خير من صلاتها في المسجد[٢].

ومع إذن الشارع الحكيم للنساء بشهود جماعة المسلمين بالمسجد إلا أنه حدّ حدوداً لا ينبغي تجاوزها، ومن تلك الحدود منع النساء من حضورهن متزينات متعطرات، فقال -ﷺ- : «**ولْيخرجن تَفِلات**»[٣]، ويلحق بالطيب كل ما في معناه كالثياب الجميلة والحلي[٤]، وفصلهن عن صفوف الرجال[٥] بل و تخصيص باب لهن لا يدخل منه

---

(١) مسلم (٦٦٨).

(٢) ابن خزيمة و حسنه الألباني في صحيح ابن خزيمة (١٦٨٩).

(٣) أبوداود (٤٧٨) وأحمد بسند صحيح كما قال أحمد شاكر في تحقيقه على المسند (٨٢/٨) تَفِلات: أي غير متعطرات: قال ابن منظور في لسان العرب: التَّفَل: تَرْك الطِّيب.

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي، الحديث (٤٧٨).

(٥) مسلم (٤٤٠).

الرجال[1]، درءاً لوقوع ما لا تحمد عواقبه، وكان من هديه -ﷺ- تخصيص يوم للنساء يعظهن فيه ويذكّرهن[2].

ومما يؤسف له أن الكثير من المساجد لا تعطي مصليات النساء أهمية كبيرة، فمن المساجد ما لا يوجد فيه مكان خاص للنساء أصلاً فضلاً عن أن يُهتم به، و يظهر التأثير السلبي لذلك في الأماكن التي تتواجد فيها الناس بكثرة كالأسواق الكبيرة حيث لا تجد النساء أمكنة للصلاة، و هذا يفوّت على الكثير منهن أداء الصلاة في وقتها يضاف إلى ذلك عدم وجود دورات مياه خاصة للنساء في تلك الأماكن مما يسبب احراجات لهن و لمرافقيهن فالمفروض أن يجعل في أغلب المساجد مصليات نسائية بكامل مرافقها. و من ناحية أخرى، هناك مساجد لا تعير مصلى النساء اهتماماً، من حيث تنظيفه وتطييبه، بل تجده مهجوراً، وكأنه ليس تابعاً للمسجد، ومن مصليات النساء ما لا يُفتح إلا أياماً محددة كالجمعة من الأسبوع أو رمضان من السنة فحسب، وكأن النساء لسن شقائق الرجال كما جاء في الحديث[3].

(١) أبوداود (٥٧١) و صححه ابن حزم في المحلى و الألباني في صحيح أبي داود.
(٢) البخاري (٩٩).
(٣) أبوداود (٢٣٦) و الترمذي (١١٣).

إنني أنصح القائمين على بيوت الله أن يعيدوا النظر في أحوال المصليات النسوية بالمساجد، وأن ينظروا ما تحتاجه تلك المصليات، حتى تقوم بدورها كجزء مهم من أجزاء المسجد، وإذا كان هذا الأمر مهمّاً في الماضي فهو أكثر أهمية في الحاضر مع اشتداد الهجمة على المرأة المسلمة وثوابتها.

الوسيلة العاشرة

تعويد الصبيان على ارتياد المسجد

لا سيما المميزين منهم، مع تعليمهم آداب المسجد، وكان الصبيان -المميِّز منهم وغير المميِّز- في عهد السلف يدخلون المسجد، وكل ما ورد من أحاديث في منع الصبيان من دخول المسجد فلا تصح ويردُّها فعل النبي -ﷺ- وفعل الصحابة، ولا ينبغي تنفير الأولاد من بيوت الله بحجة أنهم مصدر إزعاج للمصلين، أو سبب لذهاب الخشوع في الصلاة، فهذه حجج واهية، وما وَسِع الصحابة ينبغي أن يسعنا، ومثل هذا الازعاج إن صدر يمكن معالجته بأساليب صحيحة أخرى، غير الطرد من المسجد، فإن الطرد فيه مفاسد كثيرة، أولها بُغض الصبي للمسجد، ونفرته منه، لا سيما إذا كبر، وكفى بهذه مفسدة، والشارع الحكيم حرص على ترغيبهم في الصلاة بالمسجد لا تنفيرهم منه، بالإضافة إلى أن تعويدهم الحضور للمسجد، فيه فوائد أخرى عدا أداء الصلاة، ومن ذلك رؤيتهم منظر التلاحم بين المسلمين بمختلف فئاتهم، ولمسهم معالم التآخي بين المصلين، فينشؤون على مثل هذه المفاهيم، وإذا حضروا الجمعة تعلموا أدب

الإنصات وحُسن الاستماع، هذا إذا كانوا غير مميِّزين، أما المميِّز منهم فإنه لا شك سيستفيد مما يسمع من خطبة أو محاضرة، وسيتعلم الأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية، والتي سينقلها إلى أهل بيته لاحقاً، فإن الاستجابة في الناشئة أسرع منها في الكبار[1]، وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا

على ما كان عوّده أبوهُ

وما دان الفتى بحجى

ولكن يعلمه التدين أقربوه

(١) انظر ما يتعلق بدخول الأولاد المسجد في أحكام حضور المساجد لعبدالله بن صالح الفوزان.

الوسيلة الحادية عشر

مكتبة المسجد

إن إنشاء مكتبة للاستعارة والمطالعة بداخل المسجد أو بجانبه، من مستلزمات إقامة الدروس العلمية، والدورات الشرعية، التي سبقت الإشارة إليها[1]، فلا شك أن طلبة العلم الذين يفترض حضورهم للمسجد، من أجل الدروس والمحاضرات، سيحتاج أكثرهم لشيء من الكتب والمراجع، والمكتبة ستكون خير معين لهم على ذلك، وممن سيستفيد من المكتبة أيضا، إمام المسجد وخطيبه في إعداد خطب الجمعة، أو المواعظ اليومية و نحوها، وسبب آخر لإنشاء مثل هذه المكتبات بالمساجد، يذكره الشيخ خير الدين وانلي حيث يقول: (كثير من المسلمين لا تتوفر لديهم مصادر للعلم لا سيما الفقراء منهم، الذين لا يجدون سعة لشراء الكتب التي توسع آفاق معرفتهم، ولعدم توفر مكتبات عامة في كثير من المدن لذا كان من المهم ان يكون في كل مسجد مكتبة وهذا ما ينقص مساجدنا)[2]. وأشهر المكتبات في

---

(١) انظر الوسيلة الأولى.

(٢) المسجد في الاسلام لخير الدين وانلي، بتصرف يسير.

تاريخ المسلمين كانت بالمساجد حتى نسبت إليها كمكتبة المسجد الحرام بمكة المكرمة، ومكتبة المسجد النبوي بالمدينة النبوية، ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ومكتبة جامع الزيتونة بتونس.

وينبغي مراعاة بعض الامور المتعلقة بإنشاء هذه المكتبة منها:

- أن تكون المكتبة في أحد مرافق المسجد، كأن تكون في الطابق العلوي من المسجد أو في فناء المسجد[1] أو ملحقة به، فإن وجودها بداخل المسجد قد يحدِث تشويشا لمن يصلي أو يتلو القرآن، إلا عند الحاجة لأن تكون بداخل المسجد فهذا يقدره القائمون على المسجد، والمهم في الأمر أن تكون في متناول الجميع.

- أن يشرف عليها طلبة العلم الذين يميزون الجيد من الرديء من الكتب، بحيث لا يتم الترويج لكتب تخالف منهج الكتاب والسنة.

- من المفيد أن تكون المكتبة منوعة، تلبي جميع الاحتياجات، وتعالج شتى الموضوعات، فالمسلم والمسلمة بحاجة إلى معرفة أحكام

(١) وهل تأخذ جميع أحكام المسجد، انظر: أحكام حضور المساجد، لعبدالله بن صالح الفوزان، ص٨، وفتاوى ابن عثيمين (١٤/٣٥١).

دينهما وأمور عقيدتهما، والاطلاع على أخبار العالم الاسلامي والتعرف على مشكلات المسلمين، وإدراك الوسائل التي تعينهما على تربية أنفسهما وأسرتيهما، والنظر في سير السلف الصالح وأخذ العظة والعبرة[1]، كما أنه «يجب أن يكون في مكتبة المسجد قسم خاص بالأطفال يحتوي على القصص الديني والسيرة النبوية المبسطة للأطفال وكتب التفسير الواضحة السهلة وقصص أبطال المسلمين وفتوحاتهم»[2].

- تشجيع أهل المسجد ورواده على زيارة المكتبة، وحثهم على القراءة، إذ هي الغاية من وجود المكتبة.

- تحديد أوقات معلومة لفتح المكتبة وإغلاقها، ووضع نظام للاستعارة، وكذلك الإعلان عن كل مادة جديدة في المكتبة من كتب وأشرطة كاسيت وأقراص حاسوبية ونحوها.

(١) (٥٠) زهرة من حقل النصح لعبدالعزيز المقبل.

(٢) المسجد في الاسلام لخير الدين وانلي.

الوسيلة الثانية عشر

تعيين أئمة وخطباء من أهل العلم والإصلاح

إن كل ما ذكر من وسائل لتفعيل دور المسجد متوقف على طبيعة القائمين على بيوت الله، ويأتي في أولهم إمام المسجد وخطيبه، وكذلك مؤذنه، والأصل في هذه الوسيلة هو قوله -ﷺ-: «**يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله..**»[1] الحديث، ففيه بيان أهمية هذه الولاية، وأنه ليس كل أحد أحق بها، وأكثر كتب الحديث وكتب الفقه تحدثت عن الإمامة والخطابة والأذان في أبواب خاصة، حيث يتم ذكر الصفات الواجب توافرها في كل من إمام المسجد، وخطيبه ومؤذنه، بل أُفرِدَ هذا الأمر بالتصنيف في كتب مستقلة لأهمية الدور المنوط بهؤلاء القائمين على بيوت الله. يقول الشيخ خير الدين وانلي: «ولا يمكن للمسجد أن يقاوم السينما والمدارس التبشيرية واللادينية إلا إذا كان المسؤولون عنه ذوي مستوى عالٍ من الثقافة الإسلامية والنخوة الإسلامية والوعي الإسلامي، وإلا إذا حرصت وزارات الأوقاف

(١) مسلم (١٠٧٨).

الإسلامية على العناية بإعداد هؤلاء المسؤولين وكلما كان المسؤولون عن المسجد محتسبين لوجه الله كانت الفائدة منهم أكبر»[1].

ولعل من الأساليب الحديثة في إعداد مسؤولي المساجد، عقد الدورات التدريبية لهم خصوصاً للأئمة منهم بهدف تعليمهم ما قد يجهلونه من أحكام تخص المسجد وتنمية معارفهم، وهذا التثقيف والتحصيل من متطلبات الولاية التي تقلدوها، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، إذ كيف نرجو قيام المسجد برسالته، وبدوره الفعّال، والقائمون على المسجد من أجهل الناس، وأدناهم ثقافة ووعياً؟

ولعل من أحسن الأمثلة الدالة على الثمرة اليانعة من تطبيق هذه الوسيلة، ما ذكره الشيخ محمد لطفي الصباغ من قيامه في فترة شبابه أثناء دراسته النظامية بجامعة دمشق. الجامعة السورية قديماً. قيامه مع عدد من إخوانه الصالحين بإعادة مسجد الجامعة الذي حولته القوات الفرنسية إلى بار، ومن ثم إلى مستودع، أعادوه إلى ما كان عليه قبل دخول الفرنسيين[2]، ثم قاموا بتشكيل لجنة تُعنى

(١) المسجد في الاسلام لخير الدين وانلي.

(٢) انظر الوسيلة السابعة.

بالمسجد وأموره، فنظموا البرامج التوعوية والأنشطة العلمية، في فترة عصيبة كانت بلاد الشام تعيش بين نارين: التيارات الفكرية المنحرفة والطرق الصوفية المبتدعة، فاستضافوا أهل العلم لإلقاء الكلمات والمحاضرات بالمسجد، كالشيخ مصطفى السباعي والشيخ مصطفى الزرقا[1]، وراسلوا العلماء للإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم، ولا سيما تلك التي تتعلق بالسنن والبدع، فراسلوا الشيخ الألباني للإجابة عن مثل تلك الأسئلة، يقول الألباني -رحمه الله- في مقدمة رسالته (الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة) متحدثاً عن ذلك المسجد مثنياً على لجنته: «وهو مع ذلك يعتبر المسجد الوحيد في دمشق، بل ربما في سائر البلاد السورية في كونه قائما على السنّة، منزّها عن البدعة إلى حد كبير، فلا ترفع فيه الأصوات و لا تقام فيه صلاة الظهر بعد الجمعة، وغير ذلك من المحدثات التي تغص بها سائر المساجد. ويعود الفضل في ذلك إلى اللجنة القائمة عليه من الشباب المؤمن الحريص على اتباع السنّة، واجتناب البدعة، في حدود ما يعلم، وما يأتيه من علم، وهذا هو الذي أهاب بهم على أن يوجهوا الأسئلة المشار إليها إلى أفاضل العلماء»

(١) برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية ١٤٢٦/٨/٢٧هـ.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على على الأثر الطيب حين يُجعل القائمين على المساجد من أهل الخير والفضل فبواسطتهم ينتشر العلم والسنّة و بهم -لا قدّر الله- يعمّ الجهل و البدعة إذا تساهلوا في أداء دورهم.

الوسيلة الثالثة عشر

تفعيل أمر الأوقاف

إن من أهم مزايا الوقف في الشريعة الإسلامية أنه مستمر لا ينقطع ودائم لا يتوقف، وبهذا يتم الحفاظ على حياة الجهات التي أوقف عليها، ولا نبالغ إن قلنا إن تفعيل الأوقاف من أسباب نهضة المسلمين حاضرا ومستقبلا، نظرا لصفة المرونة التي تكتنف هذا العمل، وسهولة الاستثمار فيه وإمكانية تكييفه زمانا ومكانا، وبهذا غايَر الوقف أعمال البِر الأخرى، وتاريخ الاسلام حافل منذ القدم على الوقف في وجوه البر المختلفة من مساجد ودور علم ومدارس ومستشفيات ورعاية أيتام وغيرها، حتى أوصى بعض الأئمة بوقف مؤلفاتهم على طلبة العلم[1]، بل أصبح هناك ديوان في عصر الأيوبيين والمماليك خاصا لأوقاف المساجد عموما وآخر لأوقاف الحرمين الشريفين خصوصا[2]، وكان كثير من الصحابة والتابعين من الحكام والمحكومين يحبسون -يوقِفون- ما يقدرون عليه من

(١) منهم الخطيب البغدادي وابن الخشاب رحمهما الله كما ذكره عنهما اللميلم في (رسالة المسجد في الاسلام).

(٢) محاضرات في الوقف لمحمد أبو زهره.

أموالهم في سبيل الله، وإذا كان العلماء اختلفوا في مشروعية الوقف على أمور معينة فقد اتفقوا على مشروعية الوقف على المساجد ودور العبادة[1].

وهذا هو سبب كثرة المساجد في أصقاع المعمورة حتى أصبحت كثرتها ظاهرة أثارت دهشة الرحالة الأوروبيين للعالم الإسلامي[2].

والواجب على أهل المسجد تفعيل دور الأوقاف كوسيلة لإحياء رسالة المسجد من ناحيتين:

الأولى: نشر ثقافة الوقف على المساجد، وما يتعلق بها من دروس علمية، وحلقات لتحفيظ القرآن، ومكتبات ونحوها، وتوعية الناس بها وحثهم على ذلك.

الثانية: العناية بأوقاف المساجد، والاهتمام بها، والحرص عليها من عبث العابثين، فإن الكثير من أوقاف المساجد لا يَرجِع رَيْعُها إلى المساجد، وإن عاد من ذلك شيء فهو نزر يسير جداً، لأن جُلّ هذه الأوقاف قد اندرست أو اغتُصبت أو ضُيّعت، فإذا حَرِص القائمون

(١) تفسير القرطبي، سورة الجن (١٨)، و حاشية الروض المربع لابن قاسم (٥/٥٣٠).
(٢) الأوقاف وأثرها الاجتماعي في المجتمع المسلم لعبد الله السدحان.

على المسجد بالاعتناء بأوقاف المسجد، وضمان أن تعود ثمرة الوقف إلى المسجد، لا إلى جهات أخرى، فإن ذلك سوف يسهم في تأدية المسجد لدوره في الحياة، لأن الوقف هو الضمان الوحيد بإذن الله لما يتطلبه المسجد من احتياجات في الحاضر و المستقبل، بدلا من أن تكون أنشطة المسجد متوقفة على تبرعات المحسنين.

وتاريخ أوقاف الجامع الأزهر بمصر، يعد أنموذجا رائعا في أهمية الوقف على المساجد، ودوره في بقاء بيوت الله محافظة على رسالتها، ودورها في الحياة، وأضع بين يدي القاريء الكريم، نبذة مختصرة حول أوقاف الجامع الأزهر، كتبها د. خالد المشيقح في كتابه (الاوقاف في العصر الحديث) وسأنقلها رغم طولها -النسبي- لأهميتها، حيث إنها تبين ما نحن بصدده أحسن بيان، حيث يقول: يعتبر الأزهر من أهم المدارس العلمية الشرعية في تاريخ الإسلام، إذ عاش الأزهر يؤدي رسالته في نشر العلم وخدمة العلماء وطلاب العلم أكثر من ألف عام، والذي ضمن للأزهر هذا الاستمرار بتوفيق من اللّهَّ هو الوقف الإسلامي الذي دعمه اقتصادياً، وحماه من انقلابات الدول، وكفاه شر المحن المتعاقبة على مدى تاريخه الطويل.

فالعامل الاقتصادي الذي شكل قاعدة اقتصادية ارتكز عليها الأزهر طوال تاريخه الطويل، اعتماداً على الأوقاف الإسلامية التي يرصدها أهل البذل من الحكام والأثرياء، كان ضامناً للاستمرارية في أداء رسالته.

ففي العصر الفاطمي توجد عدة وثائق ونصوص تُلقي ضوءاً على الموارد الأولى للأزهر، وأولى هذه الوثائق وأهمها سجل صدر عن الحاكم بأمر اللّهَّ بن العزيز باللّهَّ في رمضان سنة ٤٠٠هـ ويوقف فيه بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن، لينفق من ريعها على الجامع الأزهر، والجامع الحاكمي، وجامع براشدة، وجامع المقدس، ودار العلم بالقاهرة، ويفرد فيه لكل منها نصيباً خاصاً ويفصل وجوه النفقة فيها. ومن ذلك فيما يختص بالجامع الأزهر، رواتب الخطيب والمشرف والأئمة، وما ينفق على فرش الجامع وتأثيثه وإنارته من الحصرو القناديل والزيت، وعلى إصلاحه وتنظيفه، وإمداده بالماء وغير ذلك من وجوه الإنفاق، وقد فصل ذلك تفصيلاً شاملاً في وثيقة كاملة أثبتها المقريزي بنصها في خططه.

وتعد هذه أول وثيقة لوقفية صدرت عن أحد خلفاء الفاطميين

ورتبت للأزهر بعض النفقات، وينقل المقريزي عن المسبحي (مؤرخ الدولة الفاطمية) في حوادث سنة ٤٠٥هـ في عصر الحاكم بأمر اللّهَّ أيضاً أنه قُرىء في شهر صفر سجل بتحبيس عدة ضياع وغيرها على القرّاء والفقهاء والمؤذنين بالجامع، وأرزاق المستخدمين و ما إلى ذلك.

أنواع الأوقاف على الأزهر :

كانت الأوقاف التي تحبس على الأزهر إما أن تكون للأزهر بصفة عامة، وذلك مثل الوقفية السالفة التي أوقفها الحاكم بأمر اللّهَّ في سنة ٤٠٠هـ، وإما أن تخصص للأروقة المختلفة بالأزهر أو لأساتذة المذاهب الأربعة، أو للإنفاق على تدريس مادة معينة، ولا سيما علوم القرآن والحديث. وقد ظلت هذه الموارد الخاصة تنمو على مر العصور، وتوالت أوقاف أهل البذل من السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر خلال العصور، وكان الحكام يعززونها جيلاً بعد جيل.

وقد استمرت هذه الموارد تزداد شيئاً فشيئاً حتى تضخمت وبلغت الأوقاف المصرية العامة طبقاً لإحصاء سنة ١٨١٢م (١٢٢٧هـ)

٦٠٠،٠٠٠ فدان أي أنها كانت تزيد على خمس جميع الأراضي المصرية، لأن إحصاء جميع الأراضي المصرية سنة ١٨١٣م بلغت فيه مساحة الأراضي المصرية كلها (٢،٥٠٠،٠٠٠فدان).

وكانت الدولة تُعيّن ناظراً على أوقاف الأزهر من المماليك يتولى الإشراف على أوقاف الأزهر وإدارتها والصرف على الأزهر في العصر المملوكي والعصر العثماني وشيئاً فشيئاً تدخل العلماء إلى أن أصبحوا يتولون النظارة على أوقاف الأزهر، وعلى كثير من الأوقاف الخاصة بالمساجد والمدارس والأسبلة وخاصة في نهاية العصر العثماني.

وكانت تلك الأوقاف مصدر قوة للجامع الأزهر وقد حققت له استقلالاً ذاتياً عن التأثرات السياسية، والمذهبية. فلم يعرف عنه طوال عصوره شيئاً من ذلك، بل عاش علماء الأزهر وطلابه معززين مكرمين، بمنأى عن الخضوع لأحد، ومارس علماؤه حرية مطلقة في اختيار الدراسات والبحوث والموضوعات التي تلقى على الطلاب، وفي انتقاء الكتب التي يقرؤها المشايخ عليهم دون إشراف من أحد، أو توجيه منه[1]. أ.هـ

(١) الأوقاف في العصر الحديث لخالد بن علي المشيقح ص (٢٣).

ولعل الأرض المباركة -فلسطين- هي أهم الأماكن الواجب تطبيق ما ذكرنا من طرق لتفعيل الأوقاف -نشر ثقافة الوقف وحث الناس على الاكثار منه وكذلك العناية بأوقاف المساجد والحفاظ عليها من العبث- وذلك من أجل الحفاظ على الهوية الاسلامية من الاندراس، فاليهود لا يألون جهدا في طمس معالم فلسطين، وخصوصا القدس والمسجد الأقصى المبارك.

الوسيلة الرابعة عشر

تطهير المسجد من التعصب الذميم

يجب أن ننزه مساجدنا عن أن تكون مرتعا خصبا لنمو التعصب المذموم بكل صوره وأشكاله أكان تعصبا لدولة أو لحزب أو لقبيلة أو لمذهب أو لطريقة أو لشخص أو لغير ذلك، فإن الاسلام شنّ حربا ضروسا على التعصب بمختلف أشكاله، ولا غرابة في ذلك، إذ التعصب هو الدافع في الوقوف في وجه الرسالات السماوية بالتكذيب كما قال الله -تعالى-: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (الزخرف: ٢٣)، وقد مرت مساجد المسلمين بحقبة زمنية أصبحت المساجد تتخذ للتعصب لمذاهب معينة، وطرائق محددة، يعد الخروج عنها جريمة، فهذا مسجد يتبع المذهب الفلاني، وآخر يتبع النِحْلَة الفلانية، وأما المساجد الكبيرة كالمسجد الحرام بمكة، أو الجامع الأموي بدمشق، فقد كانت إلى وقت قريب تقام فيها أربع جماعات في الفريضة الواحدة، حيث تتبع كل جماعة أحد المذاهب الأربعة، يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- : ومن ذلك ما كان

معروفا في المسجد الحرام سابقا قبل أن تتولى الحكومة السعودية عليه، كان فيه أربعُ جماعات، كل جماعة لها إمام: إمام الحنابلة يصلي بالحنابلة، وإمام الشافعية يصلي بالشافعية، وإمام المالكية يصلي بالمالكية، وإمام الأحناف يصلي بالأحناف، ويسمّونه: هذا مقام الشافعي، وهذا مقام المالكي، وهذا مقام الحنفي، وهذا مقام الحنبلي، لكن الملك عبد العزيز جزاه الله خيرا لما دخل مكة، قال: هذا تفريق للأمة، أي: أن الأمة متفرقة في مسجدٍ واحد، وهذا لا يجوز، فجمعهم على إمام واحد، وهذه من مناقبه وفضائله -رحمه الله تعالى-[1] أ.هـ

وإننا إذ نحمد الله تعالى على اضمحلال هذا التفرق القبيح، إلا اننا ابتلينا بتفرق لا يقل عن سابقه خطرا وفسادا، ذلك هو التعصب للجماعات الاسلامية والأحزاب الدينية، بل وللشيوخ والدعاة، فاضحى بيت الله كأنه مبنى مستأجرا لأعضاء ذلك الحزب أو المنتمين لتلك الطائفة، فأصبح المسجد شِيَعا وأحزابا متفرقين غير مجتمعين، متنافرين غير متآلفين، وهذا ما هو إلا أثر من آثار كثيرة تجرعتها

(١) الشرح الممتع، ج٤.

الأمة بسبب التعصب الذميم، و التحزب القبيح الذي نُهينا عنه وأشعله الأعداء. ومن تأمل كتاب الله جل وعلا وجد ان الحق -تبارك وتعالى- يصف المساجد بأنها له وحده دون سواه، قال الله -تعالى- : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: ١٨)، ونسبها إلى نفسه العليّة نسبة تشريف وتكريم فقال -سبحانه-: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ) (التوبة: ١٨)، و هذا لا يتنافى مع نسبة المسجد إلى أشخاص أو أحياء أو نحوها من باب التعريف، لا من باب المُلك والتشريف[١]، وجاءت السنّة مؤكدة ما اكده القرآن الكريم، فقال -ﷺ-: (**من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**)[٢]، فقوله (لله) و(يبتغي به وجه الله) يخرج به كل من بنى مسجدا أو رمّمه من أجل نشر مذهبه أو ترويج فكر جماعته أو إظهار بدعته، فهؤلاء قد شابهوا منافقي المدينة في عهده -ﷺ- الذين بنوا مسجد الضرار، من أجل تفريق كلمة المؤمنين، فنهى الله -عز وجل- نبيه أن يقوم فيه وأمره بهدمه، قال الله -تعالى-: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا

(١) تفسير القرطبي، سورة الجن (١٨).

(٢) سبق مصدره في الوسيلة السابعة.

وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة: ١٠٨،١٠٧)، فأرسل عليه الصلاة والسلام جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجِيَف والنتن.

والواجب العمل على إزالة هذا الداء العضال قبل أن يستشري، ويكون ذلك بتعليم الناس عموما وأهل الصلاح خصوصا وتربيتهم على اجتناب هذا الداء ومحاربته، وتذكيرهم دائما أن من مقتضيات شهادة التوحيد اتباع النبي -ﷺ- فيما يأمر وينهى، وأنه الشخص الوحيد الذي لا يُردّ قوله، أما من سواه فإنهم و إن علا شاؤهم وارتفع شأنهم فهم بشر يصيبون و يخطؤون، تعليمهم ذلك عبر الدروس والمحاضرات والنشرات وغيرها وتربية الناس على تطبيق هذا المفهوم عمليا لا نظريا فحسب، على أن يراعى في ذلك ما تمت الاشارة إليه سلفا من حيث استخدام الاسلوب الأسهل والأمثل.

---

(١) تفسير الطبري، سورة التوبة (١٠٨).

(٢) انظر الوسيلة الخامسة.

الوسيلة الخامسة عشر

اللقاءات مع أهل الحي

إن قيام المسجد بأنشطة مختلفة: علمية ودعوية واجتماعية وثقافية وغيرها يتطلب تقييماً لمثل هذه الأنشطة بين فترة وأخرى، لأنها تبقى أولاً وأخيراً أعمالاً بشرية، يعتريها النقص ويكتنفها الخلل، ومن أحسن الأساليب لعمل مثل ذلك التقييم، عقد لقاء دوري يجمع أهل الحي بإمام المسجد أو من ينوب عنه، لمراجعة أحوال المسجد وشؤونه. ومن فوائد مثل هذا اللقاء ما يلي:

- سد أي خلل أو نقص فيما يتعلق بشؤون المسجد عموماً ولا سيما الأنشطة سالفة الذكر.
- الاستفادة من مقترحات أهل الحي وآرائهم.
- تشجيع المبادرات المتميزة بالمسجد ومكافأة من يقوم بها.
- الاطلاع على أنشطة وبرامج المساجد الأخرى للاستفادة منها.

الخاتمة

وفي الأخير فإن هذا عدد من الوسائل المفيدة ومجموعة من الأساليب الشرعية لتفعيل دور المسجد و إحياء رسالته التي جاء من أجلها، وهي جهد المقلّ أملي ان يتقبلها الله ثم الناس قبولا حسنا، وإني على علم أن من كان له اهتمام بهذا الشأن فسيضيف وسائل أخرى قد تكون أكثر ملائمة للبيئة التي يعيش، وأملي شحذ همم مسؤولي المساجد في كل بلاد المسلمين أن يفعّلوا دور المسجد ورسالته وفقا لأحكام الشريعة، مراعين في كل ذلك الاخذ بمستجدات العصر الحديث، ولذا تجد أن ما سبق من وسائل، قد جَمعت بين الأصالة والمعاصرة، لإيماني بضرورة الارتقاء بأساليبنا التربوية، والنهوض بوسائلنا التعليمية، بما يتناسب مع احتياجات العصر ومقتضياته.

إن عرض هذه الوسائل لا يعني بحال من الأحوال أن مهمة تفعيل هذه الوسائل تقع على إمام المسجد أو القائمين عليه فحسب، بل هي كما ترى تتنوع، فمنها ما لا يصلح أن يقوم به إلا إمام المسجد أو من ينوب عنه كاختيار الاسلوب الأمثل لإزالة بدع المسجد وإحياء السنن، ومن الوسائل ما يتطلب وجود طلبة علم متخصصين كإقامة الدروس

الشرعية و الدورات العلمية، ومن الوسائل ما يستطيع القيام بها عموم أهل المسجد ورواده كنصح إخوانهم المسلمين عند وقوع احد منهم في مخالفات وكذلك المشاركة في أنشطة المسجد وبرامجه، وبعض الوسائل تقع على عاتق أغنياء المسلمين والموسرين منهم وعلى الجهات العليا للمساجد كوزارات الاوقاف وذلك مثل وسيلة تفعيل أمر الأوقاف والاهتمام بعمارة المسجد الحسّية وعقد الدورات لأئمة المساجد. وبقدر تعاون الجميع و قيامهم بأدوارهم وتحمّلهم لمسؤولياتهم يؤدي المسجد دوره ويستعيد رسالته، وبقدر تخلي البعض - فضلا عن الكل- عن القيام بما يستطيعون من تطبيق لهذه الوسائل يضعف الدور الشامل للمسجد و يتضائل تأثيره المرجو و هذا في حد ذاته انعكاس لضعف الأمة كلها.

والله أسأل أن ينفع بهذه الوسائل قارئها والعاملين عليها والمشاركين في قيامها ابتغاء مرضاة الله.

كتبه: شوقي عبدالله عبّاد

بريد الكتروني: shawqi100@gmail.com

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
تمهيد	٥
الوسيلة الأولى: عقد الدروس الشرعية والدورات العلمية	٧
الوسيلة الثانية: إلقاء المحاضرات و الندوات	١١
الوسيلة الثالثة: إلقاء بعض الكلمات والمواعظ الموجزة	١٣
الوسيلة الرابعة: إنكار المخالفات الشرعية نصحاً لعامة المسلمين	١٥
الوسيلة الخامسة: إماتة البدع وإحياء السنن	١٩
الوسيلة السادسة: جمع التبرعات والصدقات للمحتاجين	٢٣
الوسيلة السابعة: بناء المساجد وتشييدها	٢٧
الوسيلة الثامنة: عمارة المسجد الحسّية	٣١
الوسيلة التاسعة: العناية بمصليات النساء	٣٥
الوسيلة العاشرة: تعويد الصبيان على ارتياد المسجد	٣٩
الوسيلة الحادية عشر: مكتبة المسجد	٤١
الوسيلة الثانية عشر: تعيين أئمة وخطباء من أهل العلم والإصلاح	٤٥

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
الوسيلة الثالثة عشر: تفعيل أمر الأوقاف	٤٩
الوسيلة الرابعة عشر: تطهير المسجد من التعصب الذميم	٥٧
الوسيلة الخامسة عشر: اللقاءات مع أهل الحي	٦١
الخاتـمـة	٦٣

هـذه الرسـالـة...

بضع عشرة وسيلة استخلصتها من هدي الإسـلام وقواعده العامة، نستطيع من خلالها معاً أن نفعّل دور المسجد ونحيي شيئاً من رسالته، فإن غياب هـذا الدور، واندراس تلك الرسالة، من أسباب تعرض المسلم للانجراف وراء التيارات المنحرفة المفسدة المشبوهة، التي تستهدف تضليل الناشئة بالدرجة الأولى، وإبعادهم عن دينهم وإغراقهم في أوحال الرذيلة مستخدمة في ذلك شتى الوسائل من دور سينما ووسائل إعلام وشبكات اتصال.

المؤلف